

واقع تعليم اللغة العربية و آدابها في الجامعات الإيرانية

د. محمد جواد اسماعيل غانمي - د. علي سبهيار - د. عظيم حمزة مطوري

Department of Arabic Language, Abadan branch, Islamic Azad University, Abadan, Iran

الملخص:

علاقة ايران و الإيرانيين باللغة العربية متجذرة منذ عهد بعيد و قد تختلف إختلافاً كبيراً عن علاقة ساير الشعوب غير العربية الأخرى . إذ إنّ الإيرانيين اسهموا اسهاماً كبيراً في بلورت اللغة العربية و تطويرها ، و ذلك كله بفضل مجاورتهم للعالم العربية و التاريخ المشترك و الحوادث المتشابهة التي مرّت بها كلتا الأمتين ، و الفتح الإسلامي لإيران و شيوع اللغة العربية في ربوعها الى زمن غير بعيد. كلّ هذا جعل الإيرانيين أن ينجرفوا الى تعلم اللغة العربية و إتقانها اتقاناً قلّ نظيره ، حيث أصبحوا بعد ذلك من المنظرين في العربية و لا يخلو جانب من جوانب اللغة العربية إلا و كان لهم سهم فيه . فمروراً بابن المقفع الى عبد الحميد الكاتب الى سيويه الى الفيروز آبادي ... و غيرهم الكثير ، كلّ هؤلاء تركوا آثاراً قيمة و بصمات جليلة في سير تكامل اللغة العربية ، جمعاً و شرحاً و توسيعاً.

و لكن مع كل هذه الإنجازات التي قام بها الفرس في سبيل إحياء و استمرار اللغة العربية قديماً ، ما واقع العربية في الوقت الراهن في ايران و خاصةً في جامعاتها و حوزاتها العلمية و مؤسساتها الخاصة و الأهلية؟! !!

فمن خلال هذا الورقة نحاول أن نسلط الضوء على واقع اللغة العربية في إيران ، و ندرس مصادر الخلل و معضلات تعليم اللغة العربية فيها و أهم التحديات و التوقعات التي تواجهها لغة الضاد في ربوعها ، و مستقبل العربية في هذا البلد.

المقدمة:

لقد تناول العديد من الباحثين سبل النهوض بالعربية و طرق تدريسها في المدارس الإيرانية و كتبت في هذا الصدد مقالات عديدة و عقدت ندوات و جلسات كثيرة و أقترحت أفكار مختلفة ، و لكن الوضع لم يزدد إلاّ سوءاً و استمرت نفس الأنماط على نفس الوتيرة القديمة دون تغيير يلحظ ، و لا يزال المعلمون و المتعلمون يشكون ضعف العربية في المدارس الإيرانية.

من الطبيعي إذا كان حال المدارس على هذه الشاكلة فالجامعات لا تكون أحسن حالاً . و إذا عقدت جلسات و شكلت ندوات أو مؤتمرات و كتبت مقالات هنا و هناك فيما يخص مستوى تدريس العربية في المدارس الإيرانية و سبل اصلاح الوضع فيها ، فبالنسبة للجامعات في فرع اللغة العربية لم يناقش مستوى التعليم بتاتاً . إلا في بعض جلسات اقسام اللغة العربية في الجامعات الحكومية . فمن هذا الواقع نريد أن نتحدث عن تدريس اللغة العربية في الجامعات الإيرانية و ندرس مصادر الخلل في ذلك و سبل النهوض باللغة العربية من جديد.

فروع اللغة العربية و آدابها في الجامعات الإيرانية:

يعد فرع اللغة العربية و آدابها في جامعة طهران من أقدم فروع العربية الذي تأسس على النمط الجديد و يعود ذلك لسنة 1967 ميلادية ، و تأسس بعد ذلك فرع آخر في مدينة مشهد في جامعة فردوسي ثم جامعة إصفهان و تخرج الكثير من الطلاب من هذه الجامعات على مدى أكثر من أربعة عقود . ثم تم فتح فرع جديد في جامعة « إعداد المعلمين » في طهران و كانت كل المراحل تدرس في هذه الجامعات أي من مرحلة البكالوريوس حتى مرحلة الدكتوراه. الى أن قامت الثورة الإسلامية في إيران ، فبعد الثورة نظراً للنمو الاقتصادي و الثقافي و الثورة الثقافية التي دعت اليها المؤسسات التعليمية و التربوية حدثت نهضة عارمة في مجال التعليم العالي ، فأخذ التعليم الجامعي بالنمو و التوسع . فتأسست عدة جامعات خلال فترة وحيزة منها جامعة « بيام نور» و جامعات أهلية وخاصة و من أهم هذه الجامعات جامعة « آ زاد الإسلامية» التي انتشرت في جميع المدن الإيرانية تقريبا و اليوم تملك أكثر من 340 فرعاً داخل البلاد و خمسة فروع خارج البلاد. الى جانب جامعة آ زاد ، جامعة بيام نور التي أخذت تضاهي جامعة آ زاد الإسلامية . هذه النسبة من الجامعات الى جانب الجامعات الحكومية التي توسعت بدورها بعد الثورة أيضاً و لا توجد محافظة من محافظات ايران الخمسة و الثلاثين الا و فيها أكثر من جامعتين أو ثلاث.

فإذا كانت فروع اللغة العربية قبل بالثورة محصورة في أربع جامعات ، فالآن فروع العربية أربت على الأربعين . فأكثر من أربعين جامعة لديها فروع اللغة العربية و آدابها على جميع المستويات ، الليسانس و الماجستير و الدكتوراه. فمن ينظر الى هذه الكثرة اللافتة للإنتباه يشعر بالفخر و الإعزاز لما وصلت اليه العربية في ايران ، و لكن من يترث قليلاً يصاب بالدهشة و الأسف لما تمرّ به العربية من ضعف و اهمال في هذه الجامعات ، فظاهر الأمر شئ و باطنه شئ آخر.

واقع المتخرجين في الجامعات في اللغة العربية و آدابها في ايران:

في واقع الأمر ما يعاني منه متخرجو اللغة العربية في الوطن العربي على إمتداده منذ أمدٍ بعيد و الذي أشار اليه الباحثون منهم عميد الأدب العربي في مصر الدكتور طه حسين قديماً و التفت اول مرة لذلك الضعف في كتابه « في

الأدب الجاهلي» إذ يقول: «و إنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية و العالية ، و أن تطلب اليهم أن يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور و احساس أو عاطفة أو رأي فلن تظفر منهم بشئ . و لن تظفر من أكثرهم بشئ . فإن تجدت عند بعضهم شيئاً فليس هو مديناً به للمدرسة . و إنما هو مدين به للصحف و المجالات و الأندية السياسية و الأدبية.»(1)

في حقيقة الأمر إن وضع خريجي اللغة العربية الآن في إيران حتى أسوء مما ذكره الدكتور طه حسين ، فهم مع شديد الأسف غير معدين الإعداد الكافي ، و إن ثمة ضعفاً جلياً و واضحاً يظهر في كثرة الأخطاء النحوية و اللغوية التي يرتكبوها في كلمة إن القيت أو شعر إن أنشد ، أو قصة إن كتبت ، أو مقالة إن قرأت و هذا حتى على مستوى المدرسين . و مما يزيدالطين بلة و الوضع سوءاً لا يتجلى هذا الضعف في كثرة الأخطاء اللغوية فحسب ، و إنما يمتد الى القدرة التعبيرية إذ إن أكثر المدرسين لا يتمكنون من التحدث بالعربية ، و يعانون الإرتباك في مواقف التعبير الوظيفي الذي تتطلبه الحياة من مناقشات و تقديم طلبات و القاء كلمات و إدارة اجتماعات و كتابة محاضر جلسات .. الخ . فإذا كان حال المدرسين على هذا المستوى المتدني ، فما حال المتلقي أو المتعلم .

أضف الى ذلك أن المتخرجين في اللغة العربية في الجامعات الإيرانية في الأعم الأغلب لا يحفظون شواهد شعرية أو نثرية من التراث القديم و لا المعاصر ، مع ان عملهم المستقبلي في التدريس يتطلب منهم ذكر الشواهد اجراء المقارنات و الموازنات بغية اصدار الأحكام و عندما تعود الى الوراء تحذق في المدارس و التعليم فيها ، فتجد المدرسين للمواد المختلفة لا يحسنون اللغة العربية ، و لا يحسنون الإبانة ، إنهم عوام في شرحهم و تلقيهم ، و هم لا يلقون لتلاميذهم و طلابهم حقائق نيرة بينة، و ليس ذلك فحسب بل هم يرمون باللغة ، و يتأففون ممن يرجو لديهم بياناً بها أو صحة تعبير ، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة العربية ، إن لم أقل إحتقارها . إذا فالمشكلة ليست وليدة يومنا هذا ، و إنما كانت مستمرة على مدى طويل ، و لم يلتفت اليها و لم تعالج بصورة صحيحة.

فالظاهرة الخطيرة لأزمة اللغة العربية في الجامعات الإيرانية هي أن التلميذ أو الطالب كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية إزداد جهلاً بها و نفوراً منها و صدوداً عنها.

و قد يمضي في الطريق التعليمي الى آخر الشوط ، فيتخرج في الجامعة ، و هو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً باللغة التي درس فيها.

بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها ، و يعينه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان و مادة تخصصه.

كل درس تلقاه الطلاب في اللغة العربية ينأى بهم عنها ، و نرى اللغات الأخرى يتعلمونها في المدارس أو الجامعات أو المعاهد العامة و يكتسبون من كل درس من دروسها معرفة جديدة تضاف الى معارفهم.

هكذا نجد أن الضعف في المستوى اللغوي للخريجين لم يكن لينحصر في جانب واحد ، و إنما كان يشمل مختلف الجوانب اللغوية نحواً و تعبيراً و حفظاً . و إذا أضفنا الى ذلك القصور في مهارة الإستماع و عدم تبين الفكر التي تشتمل عليها محاضرة يستمع اليها و القصور في التمكن من مهارات المحادثة و آدابها من حيث احترام الرأي الآخر و عدم البعد و الإنفعال أمامه ، و القصور في تمثيل المقروء و التفاعل معه و الحكم عليه بكل موضوعية و ادراك المرامي و الأهداف البعيدة التي يرمي اليها المؤلفون ، الفينا ضخامة المشكلة التي نكابدها و عظم المسؤولية التي تتطلبها منّا اللغة العربية في هذا المجال.

السؤال الذي يمثل أماننا هو : إذا كان نتاج تعليم اللغة العربية في المدارس و الجامعات الإيرانية يشكو الضعف و القصور فما الأسباب التي يمكن أن تكون وراء ذلك التذني؟
للإجابة على هذا السؤال لابد لنا من القاء نظرة على واقع تدريس اللغة العربية في الجامعات الإيرانية لعل ذلك يكشف لنا عن بعض مسببات هذه المشكلة فيحفّز على التخفيف من حدتها.

واقع تدريس اللغة العربية في الجامعات الإيرانية:

إذا كان الباحثون قد لاحظوا الضعف في المستوى اللغوي لخريجي الجامعات فإنهم بحثوا في الوقت نفسه عن العوامل الكامنة وراء ذلك التذني. فرأوا أن أخطر ما في الصورة هو المناهج و طرائق التدريس و الكتب الدراسية ، إذ أن النظام السائد في أكثر الدروس الطريقة التقليدية ، و التفكير العلمي و روح البحث العلمي رهينة التقاليد العمياء ، و كثير من الكتب الدراسية التي توجد بين أيدي الطلبة شحيحة أو سطحية ، او غير مناسبة ، و روح البحث غير مشجعة فيهم . و ليس من المبالغة إذا قلنا أن الدراسة في فرع اللغة العربية في الجامعات الإيرانية في بعض الدروس تكون امتدادا للدراسة الثانوية دون تغيير يذكر و تأصيلاً لما غرس في الطلبة من اعتماد على الغير و حفظ المتنون و وقوف عند حد المقروء عليهم في الصف.

المشكلة الأخرى التي يعاني منها الطالب في الجامعات الإيرانية ، أنه لم يزوّد بالمهارات اللغوية التي تمكنه من استخدام اللغة في عملية التفاعل الإجتماعي ، فيجري إعداد الطالب على أساس توجيه العناية الاولى لآداب اللغة ، و ليس للغة نفسها ، فالمنهاج في الجامعات يركز على الشعر و النثر و الآداب، و يغفل المحادثة و التعبير الشفهي ، طبعاً لا ينكر مطلقاً أهمية هذه الجوانب اللغوية في إعداد الطالب ، ولكن في الوقت نفسه ، يحب أن نقر بأن الحديث هو أهم عامل من العملية التعليمية ، و مع ذلك تتجاهله تلك الجامعات ، و النتيجة الحتمية أن يتخرج طلاب قصاصات من تاريخ اللغة و أدبها ، و لكنهم لا يحسنون استخدامها.

و يمكن أن نعيد كل ذلك الى غياب الخطط العلمية في تدريس الأدب و إخضاع ذلك الى مزاج المدرس و اختصاصه ، و هذا ما ينعكس على إعداد الدارسين بليلة و اضطراباً .

في واقع الأمر أن أي لغة في العالم مهما تبلغ درجة صعوبتها و تعقيدها ممكنة التعلم و الإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجحة لتعلمها و اكتسابها، و اللغة العربية في رأي غير مخدومة تربوياً حتى في الدول العربية ، و طرائق تعلمها متخلفة و غير علمية ، و لن توضع لها الآليات و الإمكانيات اللازمة كما وضعت للغات الأخرى في العالم ، و هذا مما ينعكس بالسلب على تعلمها في الدول غير العربية كإيران .

و يلاحظ المتتبع لطرائق تدريس اللغة العربية في الجامعات الإيرانية أنها في الأعم الأغلب ما تزال متمسمة بالطابع التقليدي ، من حيث الاعتماد على إملاء الدروس في بعض الأحيان من غير شرح مسبق ، و من حيث قراءة الدروس من الكتاب في أحيان أخرى ، و من حيث القاء الدروس على الدارسين القاء و هم سلبون منفعلون لا إيجابيون فعالون في احيان كثيرة.

و غني عن البيان أن المرين يرون أن هذه الطرائق غير مجدية في أكساب الناشئة المهارات اللغوية المناسبة ، و ذلك لأن الطرائق السابقة كلها تعود الطالب المحاكاة العمياء و الإعتماد على غيره ، و تقتل فيه روح الإبتكار و المثابرة.

مصادر الخلل في تعليم العربية في الجامعات الإيرانية:

مصادر الخلل التي تنتاب عملية تعليم العربية في الجامعات الإيرانية يمكن أن ندرسها على النحو الآتي:
* إنخفاض مستوى تعليم اللغة العربية في المدارس الى دون الحد المطلوب.

* ضعف الرغبة في تعلم اللغة العربية عند البعض من الطلبة .

* إنعدام الدافع وتفشي الفتور لدى الكثير من طلبة الفروع العربية في الجامعات الإيرانية.

* معانات بعض المراكز ذات العلاقة باللغة العربية من نقص ملحوظ في القوى المتخصصة .

و يمكن تصور العديد من الأسباب للقضايا المذكورة أعلاه حيث منها العام الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية و البعض منها خاص بتخصصات اللغة العربية و آدابها و تتمحور هذه القضايا على أربعة محاور: الطالب – الأستاذ – المنهج الدراسي – وسائل التعليم

تتلخص المشاكل و المعضلات التي تواجه اللغة العربية في ايران في الأمور الأربعة المذكورة اعلاه و تتجلى المشكلة الثانية و الرابعة بصورة أكثر وضوحاً من بين المشاكل الأخرى ، أي عدم توفر كادرات متخصصة في المؤسسات البحثية و عدم الرغبة من قبل طلاب المدارس في ايران في اللغة العربية. كما نستطيع أن نستعرض عدة علل أخرى فيما يخص اللغة العربية في ايران و هذه العلل قد تكون كلية و قد تكون جزئية و من جهة أخرى قد ترتبط باقسام اللغة العربية في الجامعات و بعضها لا يرتبط بشئ منها. على سبيل المثال بالنسبة لمشكلة عدم رغبة الطلاب بالعربية ، باستطاعتنا أن نذكر عدة عوامل في هذا الجانب، منها:

1- نظرة التلاميذ الإيرانيين الى الدول العربية ، كموطن و حاضنة اللغة العربية ، و الإعلام السلبي عما يجري في هذه الدول و مستوى الثقافة و ما تحتلوه من مكانة و ضيعة – كما يتصورون – على الساحة الدولية ؛ كل هذا ينعكس سلباً على العربية و يحدث نظرة سلبية في أذهان متعلم اللغة العربية .

2- بعض الطلاب يتصورون أن عليهم تعلم لغة أجنبية واحدة الى جانب لغتهم الأم أي الفارسية ، و ترجيحاً تكون هذه اللغة هي الإنجليزية ، لانها الأكثر انتشاراً و الأكثر أهمية . أما العربية فتعدّ في نظرهم هي نوع من الحمل

الإضافي على عواتقهم. و من هنا نستطيع أن ندرك مدى الإهتمام بالإنجليزية بين الطلاب الإيرانيين و كثرة معاهد و مؤسسات تعليم الإنجليزية هناك.

3- محتوى الكتب المدرسية التي لا تحمل في طياتها ما يلائم ذوق الطالب الإيراني و طريقة عرضها و تدريسها السيئ و الخاطئ كل هذا يسبب ابتعاد الطلبة عن اللغة العربية . كما أن الأسلوب الذي يتبعه المعلم في القاء الدروس يزيد الطين بلة و الرغبة في العربية تفاقماً.(2)

4- الخوف من ايجاد وظيفة في المستقبل لخبرجي اللغة العربية ، يسبب الإبتعاد عن الإحتفاء بهذه اللغة في ايران ، كما أن المكانة الوضيعة التي تحسب لفرع اللغة العربية بالقياس للفروع الأخرى يجعل الطالب الإيراني يبتعد عن هذه اللغة . و جدير بالذكر ، أن العلوم الإنسانية في إيران و التي منها اللغة العربية ، تأتي في الدرجة الثانية بالقياس مع الفروع العلمية ، و ينظرون إليها نظرة دنيا ، و هذه النظرة الدونية للعلوم الإنسانية لها اسباب و جذور تاريخية ، اجتماعية و سياسية ، أهمها:

- قلة الإحتفاء بالتفكر في ايران .
- استيلاء فكر « الهندسة و المهندس» على أذهان الإيرانيين.
- خطأ نظام التربية و التعليم .
- ظاهرة امتلاك شهادة .
- الكتب الدراسية الغير مناسبة.(3)

كيفية النهوض بتدريس اللغة العربية في الجامعات الإيرانية :

يتضح لنا من خلال عرضنا السابق أن ثمة معوقات تحول دون الإرتقاء باللغة العربية ، و ان النهوض بها في الجامعات الإيرانية يتطرب فيما نرى:

1- وجوب ممارسة اللغة :

ذلك لأنّ اللغة ليست مجموعة من الحقائق ، على المعلم أن يلقنها للمتعلم تلقيناً، و ما على الأخير أن يحفظها و يستظهرها ، و بقدر درجة حفظه لها يعد متمكناً من اللغة.

إن اللغة مجموعة من العادات ، و كغيرها من العادات السلوكية الأخرى كما يرى « سكينر» في كتابه المشهور « السلوك اللغوي» و دراسة اللغة على أنها حقائق علمية لا تكفي لتكوين المهارة أو العادة اللغوية ، ذلك لأن تكوين المهارة اللغوية يتطلب الممارسة و التكرار و الفهم و ادراك العلاقات و النتائج و التوجيه و القدرة الحسنة و التعزيز .

و غني عن البيان أن المرين المعاصرين يرون « أن اكتساب مهارات أي لغة يتطلب وضع المتعلم في حمام لغوي ، بمعنى أن يكون الجو المحيط بالمتعلم عاملاً مساعداً و مشجعاً على سرعة اكتساب اللغة. (4)

و من هنا كان على مدرسي اللغة أن يتحدثوا بالفصيحة ، و ان يسود جو الفصيحة في مختلف الأجواء التي يتفاعل معها المتعلم من صحف و مجلات و إذاعة و ندوات و لقاءات و ... ، و أن يسعى المدرسون الى تهيئة

الظروف المناسبة أمام المتعلم لكي ينشط و يعمل و يفكر و يبتكر، و يشعر بالرضى و الإرتياح عند تحقيق غاياته فيعزز ، ذلك لأن النجاح يؤدي الى النجاح ، و التعزيز يسهم في تكوين المهارة بصورة فعالة .
إن ممارسة اللغة الصحيحة ، و امتلاك التذوق و التفاعل ، لا يمكن لهذا كله أن يتحقق الا بالتمرس بالنصوص و قراءتها و حفظها. و لقد اشرنا الى أن الطلاب في الجامعات الإيرانية لا يحفظون الشعر . لذا كان علينا أن نكلفهم حفظ النصوص الأدبية بعد فهمها و التفاعل معها و الوقوف على اسرار الجمال فيها حتى يضحى ذلك غذاء في نسج ثقافتهم.

المناهج و وظيفتها:

كانت العناية في المناهج التقليدية تتركز حول المادة الدراسية على أنها وسيلة و غاية في الأعم الأغلب ، و ما يزال هذا المفهوم سائداً ، حتى في بعض الدول العربية ، الا أن رجال التربية الحديثة يرون أن المنهج نظام يتكون من مجموعة من الأجزاء أو المكونات التي ترتبط فيما بينها إرتباطاً عضوياً وثيقاً ، بحيث يؤثر كل منها في غيره و يتأثر به .
و مكونات هذا النظام المقررات الدراسية و الكتب و المراجع و الوسائل التعليمية و المناشط و الإمتحانات و الطرائق و المباني و المعدات ، و هذه كلها تعمل متكاملة ، بحيث أضحي المنهج حصيلة تفاعل عضوي مستمر لمجموعة متشابكة من العوامل ، تشمل المجتمع بثقافته و فسفته و مشكلاته ، و المتعلم من حيث النظر الى طبيعته و فهم خصائص نموه و أساليب تعلمه ، و العصر الذي يحيا فيه و يتفاعل معه. (5)
و من هنا إتجه تعليم اللغة نحو الوظيفية و النفعية الإجتماعية ، إذ لا فائدة من تعلم أي مادة إذا لم يكن لها نفع إجتماعي و فائدة للمتعلم في تفاعله مع المجتمع.
و لما كانت اللغة تؤدي وظيفتين اساسيتين للفرد و هما التعبير و الإتصال حتى أن بعض المربين يرون أن التعبير هو الا ضرب من الإتصال؛ تم في بعض الدول المتقدمة ، مثل أمريكا إجراء مسح لمواقف النشاط اللغوي في الحياة بغية معرفة أي المواقف أكثر تواتراً و استعمالاً في مواقف الحياة .
و كان الهدف من ذلك بناء المناهج اللغوية على تلك المواقف الحية ، حتى يحس المتعلم أن المادة التي يتفاعل معها تستثير دوافعه ، و ترضي اهتماماته ، و تلبى حاجاته ، و تؤمن متطلباته ، فيقبل عليها بشوق و رغبة.

تحديث المناهج الدراسية ذات الصلة باللغة العربية في إيران:

أما فيما يتعلق بتحديث المناهج اللغوية فلا بد أن ننطلق من أن اللغة مركز الدراسات الإنسانية ، و أنها تحظى بالعناية و الإهتمام من علماء متعددي الإختصاصات من بينهم عالم وظائف الأعضاء ، و عالم الصوتيات ، و عالم

الطبيعة ، و المهندس الكهربائي المختص بوسائل الإتصال ، و العالم في مجال الحاسوب و الشبكة العنكبوتية ، و عالم النفس ، و الطبيب ، و عالم الرياضيات ، و عالم الإجتماع ، و المربي .

و من هنا كان على واضعي المناهج أن يفتحوها على هذه الميادين و أن يستفيدوا من معطياتها في تحليل الظاهرة اللغوية و الأدبية و في اكتساب اللغة و تعلمها.

و من الملاحظ أن النظرة القديمة الى الأدب على سبيل المثال ما تزال سائدة في مناهج تعليم العربية في الجامعات الإيرانية من حيث أن الأدب يشتمل على دواوين الشعر و كتب النثر الفني ، على حين أن الإتجاهات الحديثة ترى أن الأدب ليس وقفا على دواوين الشعر و كتب النثر الفني و لكنه التاريخ والجغرافية و التربية و الطب و الفلسفة . و لما كانت العلوم الإنسانية في تفاعل مستمر فيما بينها، كان من الضروري الا نحصر انفسنا و طلابنا بعدد محدود من القوائد الشعرية و بعض النثر من خطب و مقالات ، بل أن تقدم لهم في دروس الأدب ألوان الفكر الإنساني انطلاقا من النظرة الواسعة الى الأدب. و هذا ما لا يلاحظ في نظام التدريس في الجامعات الإيرانية ، فالإستاذ لا يزال في هذه الجامعات و منذ ثلاثين عاماً يدرس مادة النصوص الشعرية من العصر الجاهلي حتى أواخر عصر سقوط بغداد من كتاب المجاني ، بأسلوب تقليدي ، جافٍ ، و بنفس النمط الذي كان عليه منذ كلف بهذا الدرس و الشئ العجيب أيضاً حتى أوقات تدريس مادة النصوص الإندلسية -على سبيل المثال -لم تغير منذ أكثر من عشرين عاماً فهذا الإستاذ يدرس يوم الأربعاء الساعة الثامنة صباحاً حتى العاشرة هذه المادة.

إذن ما يلاحظ في مناهج الأدب في جامعاتنا لا ينسجم و المفهوم الواسع للأدب ، إذ أن مدرس اللغة العربية تعلم الأدب العربي بطريقة خاصة ، حوزوية ، تقليدية ، تعلمه على أنه موضوع للرواية و الأخبار و اللغة و الغريب و النحو و الصرف و البيان و المعاني و البديع و العروض و القافية ، يدرسه فيلم بهذه المعارف .

و يدخل في إطار تحديث المناهج ايضاً العزوف عن الطرائق التلقينية الإلقائية المتبعة في التدريس في جامعاتنا الإيرانية ، و العمل على جعل المتعلم إيجابياً فعالاً لا سلبياً منفعلاً ، و تبني الطريقة التنقيبية في التدريس بعد إغناء المكتبات بالمراجع الأساسية القديمة و الحديثة ، دفع المتعلم الى البحث و التنقيب و التخليص و الإلقاء و الحكم و النقد و التفاعل تحت إشراف المدرس و توجيهه ، و بهذا الطريق يكتسب المعلومات و الميول و الإتجاهات و القيم و المهارات اللغوية ، و به يتعدل اسلوب تفكيره ، و توضع أساسيات بناء شخصيته.

و من الإتجاهات التربوية المعاصرة ان التعلم الجيد يعتمد على مدى ارتباط ما يتعلمه الفرد بحاجاته و مطالب نموه و دوافعه ، كما يعتمد على ايجابية الفرد و نجاحه و مراعاة فرديته وصولاً به الى أقصى ما تؤهله له مواهبه و استعداداته ، على أن يقتصر عمل المدرس على تهيئة البيئة و الظروف المناسبة أمام الدارس لكي يقوم بالدور الأساسي في تعليم ذاته ، ذلك لان عصر التفجير المعرفي و الإنتشار الثقافي الخاطف يفرض تبني مبدأ التعلم الذاتي و مبدأ التعلم المستمر مواكبة لروح العصر و انسجاماً مع متطلباته.

إستخدام وسائل التعليم في عمليتي التعليم و التعلم:

يتطلب تحديث المناهج الإستعانة بوسائل التعليم ، إذ أن التقدم الهائل في ميدان الوسائل التعليمية كان لا بد له أن يشق طريقه الى ميدان تدريس اللغة لما للحاسوب و الشبكة العنكبوتية و التعليم الإلكتروني من دور كبير في العمل على تهيئة المواقف أمام الدارسين لاكتساب الخبرة المناسبة ، و التغلب على المشكلات المتعلقة بالزمان و المكان و الوفرة و الحجم و غير ذلك من الأمور التي كانت تعد فيما سبق معوقات في طريق اكتساب الخبرة المناسبة. كما يلعب المختبر اللغوي دوراً كبيراً في مساعدة الدارسين على حسن الأداء و نمو التعلم و اكتساب المتعلم مهارات التعلم الذاتي . ذلك لأنه يتيح للمدرس فرصة تقويم الأداء الشفهي لكل متعلم حين يستمع اليه. و يتيح للدارس إصلاح أخطائه و تقويم أدائه بمقارنة إجاباته بالاجابات الصحيحة المسجلة ، و لا يستمع في أثناء درس المختبر إلا للأنماط اللغوية الصحيحة المسجلة. و الأخطاء الوحيدة التي يستمع اليها هي أخطاء غيره من الدارسين ، فينطلق في المran على اللغة من غير حرج أو خوف من سخرية زملائه من أخطائه . و من مزايا المختبر اللغوي أيضا في هذا المجال أنه يساعد على بث برامج متنوعة في وقت واحد تلائم مستويات الدارسين.

ولكن من الملاحظ أن المخابر اللغوية في اغلب الجامعات الإيرانية تستخدم لتدريس اللغات الأجنبية و حظ العربية فيها نادر إن لم يكن معدوماً ، و ذلك لقلّة وسائل تعليم العربية في الجامعات الإيرانية ، أمثال الأفلام و المسرحيات ، المحاورات و الكتب الخاصة بتعليم العربية ... مع أن هذه المخابر يمكن أن تستغل الى أبعد حد الإستغلال لتدريس اللغة العربية .

إعداد المدرسين لتعليم اللغة العربية:

يعد تعليم اللغة مسؤولية جماعية لا مسؤولية معلم اللغة العربية فقط و لكن في ايران مسؤولية تعليم اللغة العربية تقع على عاتق المعلم فقط ، إذ إن الطالب في إيران يتلقى كل دروسه في المدرسة باللغة الفارسية و هو لا يعرف عن العربية شيئاً ، هذا مما يزيد من جهد الأستاذ في تعليم طالب إختار فرع اللغة العربية و هو لا يملك المؤهلات اللازمة من محادثة و كتابة بهذه اللغة . فأغلب طلاب اللغة العربية في ايران يبدؤون تعلمهم للعربية و آدابها بهذا المستوى من المعرفة لها.

فعلى هذا الأساس لا بد من أن يعد مدرس اللغة العربية في إيران إعداداً جيداً ، حتى يكون على قدر المسؤولية و يقوم بعمله على أحسن شكل.

لهذا كان من الواجب اختيار مدرسين ذوي كفاءة عالية في اللغة العربية و إجراء دورات لهم في مجالات التخصص للوقوف على الحقائق التي تم التوصل اليها في مجال تدريس اللغة . مع ذلك تبقى عملية تعليم العربية ناقصة ، لأن الطف الآخر أي الطالب غير معد إعداداً جيداً و لا يملك المؤهلات اللازمة التي تجعله يتفاعل مع عملية تعليم العربية .

مع كل هذه المواصفات إن المحاضر يحتل مكانة هامة في النظام التعليمي فهو عنصر فاعل و مؤثر في تحقيق الأهداف و حجر زاوية في أي إصلاح أو تطوير ، و يحتل المحاضر مركزاً رئيسياً في أي نظام تعليمي ، بوصفه أحد العناصر الفاعلة و المؤثرة في تحقيق أهداف ذلك النظام فهما بلغت كفاءة العناصر الأخرى للعملية التعليمية ، فإنها

تبقى محدودة التأثير إذا لم يوجد المدرس الكفاء الذي أعد أعداداً تربوياً و تخصصياً جيداً ، بالإضافة الى تمتعه بقدرات خلاقية تمكنه من التكيف مع المستجدات التربوية ، و تنمية ذاته و تحديث معلوماته باستمرار .

و يعتبر إعداد المحاضر من أهم العوامل التي تساعد في تحقيق النهضة التربوية المرجوة التي تؤدي إلى نهضة المجتمع في كافة الجوانب، و المحاضر الكفاء هو القادر على تحقيق أهداف مجتمعه التربوية بفاعلية و إتقان.

و من هنا نرى أن مدرس اللغة العربية في إيران تعوزه الأمور التالية:

- الضعف في طرائق التدريس .
- عدم وجود تخصص في مجال التدريس ، فنرى الأستاذ يدرس كل ما يراه منه ، فتراه في فصل واحد يدرس البلاغة و الصرف و النحو و النصوص و الإنشاء و المحادثة و... فلا ترى له تخصصاً واحدا بل هو يأخذوا من كل علم بطرف ، كما يعبر ابن خلدون عن الأديب في العصور القديمة . فالمدرس أشبه بالموسوعي .

- عدم الإهتمام بموضوعات الدرس و الطلاب.
- إنعدام روح البحث و المطالعة و التحقيق عند أغلب المدرسين و عدم التفرغ للتدريس فقط.
- قلة الإطلاع على بالمستجدات على الساحة الأدبية على مستوى العالم العربي أو الدولي حتى في مجال تخصصه.

لا شك أن هذا الضعف الذي يفتاب مدرس اللغة العربية ، ينعكس سلباً على الطلاب ، فحتى لو كان الطالب مستعداً لتلقي دروس و معارف جديدة ، فالمدرس لا يستطيع أن يليق نهم هذا الطالب علمياً و معرفياً ، لان فاقد الشيء لا يعطيه.

إن برنامجاً تعليمياً مؤثراً يحتاج الى مدرس حاذق ، و متمكن من المادة الدارسية ، يمتلك مجموعة من الكفايات الأساسية تساعد ي عملية تعليم الطلبة و يمكن تقسيم تلك الكفايات إلى:

- 1- كفايات التخطيط للدرس و أهدافه : تتضمن تحديد الأهداف التعليمية الخاصة بالمادة التعليمية و مضمونها و النشاطات و الوسائل الملائمة لها .
- 2- كفايات تنفيذ الدرس : و تشمل على تنظيم الخبرات التعليمية و النشاطات المرافقة لها و توظيفها في العملية التعليمية العلمية .
- 3- كفاية استثارة الدافعية للتعلم: و تشمل هذه الكفاية قدرة المعلم على اختيار أساليب الحفز و التعزيز المختلفة و استخدامها و توظيفها ؛ بحيث تؤدي الى استثارة دافعية المتعلم نحو التعلم ، و تشجيعه على التفاعل و المشاركة الإيجابية في عملية التعليم و التعلم .
- 4- كفاية إدارة التفاعل الصفّي : و تتضمن هذه الكفاية قدرة المعلم على توفير جميع الظروف والشروط الصفية اللازمة لحدوث التعليم لدى المتعلمين من خلال قدرته على توفير الأجواء المادية الملائمة و توفير الأجواء النفسية و الإجتماعية اللازمة ، الى جانب النظام و الإنضباط الصفّي .
- 5- كفاية توظيف المواد التعليمية و المناهج التربوية : و تتضمن قدرة المعلم على توظيف المواد التعليمية و المناهج الدراسية توظيفاً فاعلاً بصورة تساهم في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة .
- 6- كفاية توظيف الوسائل التعليمية : و تتضمن قدرة المعلم على اختيار الوسائل التعليمية و اعدادها و توظيفها بشكل فعال .

- 7- كفاية توظيف العلاقة بين المؤسسة التعليمية و المجتمع المحلي.
- 8- كفايات العلاقات الإنسانية : و تتضمن بناء علاقات إنسانية إيجابية بين المعلم و الطالب و بين الطلبة أنفسهم في العملية التعليمية .
- 9- كفايات التقويم : و تتضمن قدرة المعلم على تقويم تعلم المتعلمين سواء أكان هذا التقويم مرحليا أم ختامياً ، بالإضافة الى قدرته على اختبار أدوات التقويم الملائمة و إعدادها و استخدامها واستخراج نتائجها و تفسيرها وتحليلها و الإستفادة منها في تحسين نوعية التعلم .(6)
- الى جانب كل ما ذكرنا عن كفايات معلم العربية ، هناك نقطة مهمة بالنسبة للغة العربية في ايران ، و التي لاتزال تعاني منها اللغة العربية هناك ، و هي التخصص في اللغة العربية . ففي الجامعات الإيرانية تمنح شهادات عالية على مستوى الدكتوراه بصورة عامة ، دون تخصص في مجال من مجالات اللغة العربية ، كالتحوي أو الصرف أو البلاغة ، أو الأدب المقارن أو... الخ . و هذا مما يجعل الطالب أن يتلقى معلومات غير منسقة و غير منسجمة ، كما يجعل معرفة الطالب للعربية ، معرفة سطحية ليست ذات عمق ، خلافا له لو كان يتخصص في مجال من مجالاتها ، عند ذلك يكون أكثر مامماً و أكثر أشرافاً و عمقا ، على المادة التي تعلمها .

الخاتمة :

و خلاصة القول أن ثمة ضعفاً في المستوى اللغوي لخريجي الجامعات في ايران ، و قد شكوا الباحثون هذا الضعف باستمرار و بحثوا عن عوامله و أسبابه ، فخالها بعضهم متصلة في اضطراب المادة اللغوية و بعدها عن استعمالات الحياة ، و خالها بعضهم الآخر في طرائق تدريس اللغة و تخلفها عن روح العصر .

و قد حاولنا من خلال هذا البحث أن نكشف عن واقع تدريس العربية و آدابها في الجامعات الإيرانية من خلال الوقوف على ملاحظات أعضاء الهيئة التدريسية ، و مستوى الخريجين ، كما عرضنا لواقع المقررات التي تدرس و الطرائق المستخدمة في التدريس .

من المسائل الهامة التي اشرنا اليها في هذه الورقة و سعينا الى إيجاد حلول لها هي مصادر الخلل و معضلات تعليم اللغة العربية و آدابها في الجامعات الإيرانية و التي تمثلت في : انخفاض مستوى تعليم العربية في المدارس و ضعف رغبة الطلبة في تعلم العربية و انعدام الدافع و تفشي الفتور بين طلبة اللغة العربية و أخيراً نقص في القوى المتخصصة بهذه اللغة و عدم وجود تخصصات في فرع اللغة العربية.

و انتهى البحث الى مجموعة من التوصيات و المقترحات التي نراها عاملة على النهوض باللغة و الإرتقاء بها في الجامعات الإيرانية . و تتمثل هذه التوصيات في وجوب ممارسة اللغة ، و العمل على توفير الحمام اللغوي في أجواء الجامعات ، و في مناشط الطلبة ، و وجوب العمل على وظيفية المناهج و نفعيتها الإجتماعية حتى يحس الدارسون بأهمية ما يدرسون ، و حتى يتم الربط بين الجامعة و الحياة .

و من التوصيات أيضا العمل على تحديث المناهج من حيث الإفادة من معطيات المعرفة ذات الصلة باللغة و الأدب من مثل علم النفس و علم الإجتماع و اللسانيات بفروعها المختلفة و مناهج البحث العلمي و غير ذلك من الميادين ثم من حيث العزوف عن الطرائق الإلقائية التلقينية المتبعة في التدريس ، و العمل على إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي ، و من حيث استخدام الوسائل التعليمية أجهزة و مواد في عمليتي التعليم و التعلم. خالص البحث أخيرا الى أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية ، و أن النهوض باللغة يتطلب إعداد المدرسين جميعا . و أن مدرس اللغة لابد أن يتميز أو يمتلك عدة كفايات ، فتحدثنا عن أهم كفايات المدرس الناجح التي تساعده في عملية تعليم الطلبة . و كلنا أمل أن قدمنا شيئا و أن تكون هذه الملاحظات مثمرة . و ما توفيقنا إلا بالله .

الحواشي:

- 1- حسين ، طه ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1990 م.ص 23
- 2- سلمانى ، رحيمي : نگاهی به آموزش عربى ، دانشكده الهيأت و معارف دانشگاه چمران ، 1382 هـ ش ص 248
- 3- رفيع پور، فرامرز: علوم انساني در ايران نگاهی از بيرون و درون، تهران ، دانشگاه شهيد بهشتي، 1382 هـ ش ص 70
- 4- أمين الخولي : محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة 1985.ص 6
- 5- محمود احمد السيد :الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية و آدابها ، دار العودة ، بيروت ، 1988ص 9
- 6- خيرى عبداللطيف : خصائص المعلم المهني و كفاياته ، عمان ، دائرة التربية و التعليم ، 1988ص 10-13